بسم الله الرحمن الرحيم

يوسف القرضاوي يتلاعب بعقيدة المسلمين

بقلم الشيخ؛ محمد بن محمد الفزازي

سألت سائلة: هل النصارى كفار؟

فأجاب الدكتور القرضاوي على هذا السؤال في حلقة يوم الأحد 22 جمادى الأولى 1419 موافق: 13 / 09 / 1998 من برنامج (الشريعة والحياة) التي تبثه قناة الجزيرة، بما يمكن أن نجد له وجهاً من الحق وإن كان في كلامه ما يتعب المسلم الموحد. إلا أنه بعد ذلك تدخل مقدم البرنامج أحمد منصور بشبهة أفسدت على الشيخ كل شيء: [يعني هنا .. هم كفار بديننا وليسوا كفاراً بالله ... هذه القضية ينبغي أن توضح لأن هناك فهماً لدى كثير من الناس .. بأنهم كفار بالله] وهنا استأنف الشيخ القرضاوي كلامه متأثراً بتوجيه أحمد منصور قائلاً: [ليسوا كفاراً بالله... ويؤمنون بالله، ويؤمنون باليوم الآخر، ويؤمنون بعبادة الله سبحانه وتعالى، ويؤمنون بالقيم الأخلاقية، ولذلك نحن دعونا إلى الحوار الإسلامي المسيحي لأن هناك أرضية مشتركة بيننا وبينهم { وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (...) وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [العنكبوت:46] [وقد أسقط من الآية قوله تعالى: { إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } ومكانه بين القوسين. ولعله مجرد سهو، ثم أردف قائلاً:] فنحن نؤمن بالله، ونؤمن بالفضائل، ونؤمن بالعبادات، ونؤمن بالآخرة. هذه قواسم مشتركة بيننا وبينهم. إنما ليسوا مسلمين يقيناً. هم يعتبروننا كفاراً، ونحن نعتبرهم كفاراً. هذا أمر طبيعي ... نحن كفار بدينهم، لا نؤمن بالمسيحية الموجودة. وهم كفار بديننا لا يؤمنون برسالة محمد وأن القرآن كلام الله. هذا أمر طبيعي يجب أن (...) ومع هذا ... الإسلام يدعو إلى التسامح مع هؤلاء الناس، وأباح مؤاكلتهم ومصاهرتهم والتزوج منهم ... رابطة اجتماعية نسباً وصهراً (...) المصاهرة إحدى الروابط الأساسية، هذا هو الذي ...].

أضف إلى ذلك أنه خاطب نصرانياً من لبنان، بعد أن علم بنصرانيته، خاطبه: ياأخي.. ياأخي.. في لين بليغ وعبارات ودودة..

وقبل تحليل كلام القرضاوي وفسخه، وبيان ما فيه من التدليس والتلبيس على المسلمين، أحب أن أنبه أن الشيخ القرضاوي مجرح في فتاواه عند أهل العلم، ونظرة شرعية خاطفة على كتاباته وفتواه تكفي لمعرفة مدى التسيب والتلاعب بالدين عند الرجل. حيث إنه يتتبع رخص الأولين والآخرين، ويمط دائرة الضرورة من غير ضرورة شرعية حتى أحل بذلك كثيراً مما حرم الله.. جرياً خلف ما يسميه التيسير على المسلمين، والتبشير بالإسلام، فنسج على منوال التمييع أثواباً قذرة تعكس طعوناً بليغة في ثوابت الدين المحكمة. ونحن مع التيسير والتبشير، ولسنا مع التعسير والتنفير، لكن دون أن يكون هذا ذريعة للاجتهاد في ما لا يجوز فيه الاجتهاد، كما يفعل القرضاوي وهو الذي أول كثيراً من النصوص بالهوى، مداهنة لمن طغى وغوى، فصار علماً في التأويل الفاسد.. وهاهو اليوم يشكك المسلمين في دينهم، ويشوه عقيدتهم عبر الفضائيات، حتى أصبح محط المدح المفرط من طرف النصارى والفساق والمتسيبين، فضلاً عن الطوائف والفرق الدينية المبتدعة التي اتخذته مُنَظِّراً وإماماً وهادياً إلى صراط معوج. فما عاد ينفع حوار، والقرضاوي عندهم أعلم من يهدي، وأهدى من يعلم.

الرد على القرضاوي، لا ينتهي، فمنكراته ومثالبه لا أول لها ولا آخر. ولقد رددت بعضاً من جهالاته الفظيعة حول مفهومه "للديموقراطية" في كتابي [الشورى المفترى عليها والديموقراطية]، ورد عليه آخرون وآخرون، في هذا وفي غير هذا. والرجل ليس في حاجة إلى نصح أو موعظة، إنما هو في حاجة إلى استتابة. والمطلوب أن يصدر فيه العلماء الأحرار تحذيرهم ونذيرهم حتى لا يستفحل الأمر أكثر، ولا سيما وقد بدأت ترخيصاته وتيسيراته المزعومة تتحول إلى دين وسلوك للمسلمين. فوجب البيان.

ورداً عليه حول ما سبق ذكره، أبدأ في هذه العجالة بمخاطبته للنصراني اللبناني في تودد مكشوف: ياأخي.. ! ياأخي.. فأقول: إن كانت هذه الأخوة المعلنة دينية، فهي ردة واضحة ولا أبا بكر لها. والله تعالى يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات:10] بالحصر. ويقول: {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة:11] واليهود والنصارى وغيرهم من الكفار ليسوا إخوة للمسلمين، ولم يصبحوا وإيانا بنعمة الله إخواناً.

أما إن كانت هذه الأخوة في جانبها الإنساني، باعتبارنا جميعاً أبناء آدم وحواء عليهما السلام، على نحو ما ورد في قوله تعالى: { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا } [الأعراف:65] وفي قوله سبحانه: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا } [الأعراف:73] وقوله عز ثناؤه: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا } [هود:84] وما أشبه ذلك، فبعيد بكل تأكيد، ومعلوم أن هذه الأخوة المشار إليها في الآيات بين أولئك الأنبياء وأقوامهم الكفرة أخوة على نحو ما ذكر المفسرون. قال الإمام القرطبي رحمه الله في آية الأعراف 65 : [أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا. قال ابن عباس أي ابن أبيهم. وقيل: أخاهم في القبيلة. وقيل: أي بشراً من بني أبيهم آدم. وفي مصنف أبي داود أن أخاهم هودا أي صاحبهم...] (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) وبالتأكيد ليس في هذا للقرضاوي معض ولا مستمسك. فليس ذلك النصراني اللبناني ابن أبيه أو ابن أبي المصريين جميعهم، وليس أخاً لهم في القبيلة، وليس صاحبهم، إلا أن يكون بشراً من بني آدم، فنعود إلى الأخوة الإنسانية، وهو ما لا يشي به سياق الحوار في البرنامج؛ ذلك الحوار المطبوع بالذلة وخفض الجناح للنصارى، في حين كانت عباراته في حقي، أنا المسلم، تنبعث منها رائحة الكراهية والسخط، كأني أقوت عليهم فرصة للتقارب أكيدة يقوم على أساسها جلاء الجيوش النصرانية من بلاد الإسلام شرقاً وغرباً.

ونقطة أخرى قبل التحول إلى غيرها، وهي أن الآيات السالفة الذكر فيها الإخبار من الله تعالى على تلك الأخوة وفق ما فسر أهل التفسير، وليس فيها أن نبياً من الأنبياء عليهم السلام قال لكافر من الكفار: يا أخي. يا أخي .. أو يا إخواني .. بل يقول: { يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ } [هود:65] ومثيلاتها، فبطل القياس لهذا الفارق.

زد على هذا أن القرضاوي وأمثاله لا يقولون للشيوعيين والبوذيين والهندوس.. مثلاً: يا إخوان . مع أن الإنسانية جامعة. فهل هي إلا أخوة المحبة مع النصارى..؟

من هنا كانت إثارة هذه الأخوة مع النصراني اللبناني، الحربي بمفهوم الشرع، تلبيساً خسيساً لا يشي إلا بالأخوة المحرمة، والتي هي ثمرة العقيدة الملجلجة في جانب الولاء والبراء. قال الله تعالى: { لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } [المجادلة:22] وأقرب

الأمرين في مخاطبة النصراني: ياأخي.. ياأخي.. أنه إلقاء المودة المحرمة إليه ضداً على الإسلام الذي ينهى المؤمنين عن ذلك. فيقول: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ } إلى قوله تعالى: { تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [الممتحنة:1] والقرضاوي يعلن هذه المودة ولا يسر بها، والمفروض شرعاً، أقول المفروض وليس المستحب، أن تبدو العداوة والبغضاء بين المسلمين والكافرين، ولنا في ذلك الأسوة الحسنة في أب الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } [الممتحنة:4] فليتفضل القرضاوي وليظهر لنا علمه في هذا، وليقل لنا فيما إذا كان النصارى يؤمنون بالله وحده، أم يؤمنون بأن الله ثالث ثلاثة، وأنه سبحانه هو المسيح ابن مريم؟ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

النصارى كفار بالله واليوم الآخر

إن ما نؤاخذه على القرضاوي في ما نقلناه عنه بأمانة، هو الإطلاقات التي أطلقها في النصارى من حيث وصفهم بأنهم مؤمنون.. و.. إلى آخره..، وهذه الإطلاقات من شأنها أن تُفهَم فهماً يكتنفه كثير من الخلط، وكثير من التيه والضياع. وبالتالي تتسبب في التشويش على المؤمنين حيال هؤلاء النصارى واليهود المشركين بالله. لا سيما وأن هناك كتماناً من طرف الشيخ من حيث ضرورة التفصيل في أنواع الكفار محاربين ومعاهدين وذميين ومستأمنين... وكيف هي الأحكام الشرعية مختلفة باختلاف هذه الأنواع من الكافرين.

فالتسامح الإسلامي الذي يدندن حوله القرضاوي ليس على إطلاقه ولكنه مقيد ومحدود، في حق أهل الذمة والعهود، بالشروط العمرية. وليس لأهل الحرب فيه نصيب، كما أن دعوته إلى ما أسماه الحوار الإسلامي بناء على الأرضية المشتركة المزعومة ليست دعوة سليمة ولا مستقيمة، وخاصة وهي محكومة من طرف حكومات لا علاقة لها بالإسلام البتة. (حكومة إيطاليا مثلاً) وتضم عناصر من الفقهاء هم أقرب للقوانين الوضعية الوضيعة منهم للشريعة الإسلامية.

لذا أحببت هنا تفنيد هذه الدعاوى التي أسماها القرضاوي قواسم مشتركة بيننا وبين النصارى، وأنها مجرد حيلة ابتدعها الكفار أنفسهم للحيلولة دون انتشار الوعي الإسلامي بضرورة إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. ذلك لأن الجهاد وحده هو الذي يحرر بلاد المسلمين من قبضة الكافرين. حيلة سيق إليها المخدوعون، واعتمدها المنافقون.

1) قال الله عز ثناؤه: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } [المائدة:17] وهذه الآية قرأها القرضاوي خلال جوابه، إلا أنه استشهد بها على كون النصارى كفاراً بدينهم وليسوا كفاراً بالله. وهذا تحريف للقرآن وتخريف في معانيه. فقولهم عن الله تعالى: { هُوَ الْمَسِيحُ } يفيد أنهم كفار بالله، ولا سيما باستعمال ضمير الفصل الذي يفيد الحصر، حيث وجب أن يكون الله تعالى عندهم هو المسيح ابن مريم لا غيره. وبالتالي فقوله سبحانه: { لَقَدْ كَفَرَ..} هو الكفر بالله لا بأي شيء آخر. وقوم بلغ بهم الكفر هذا المبلغ لا نتأدب معهم على نحو ما يهذي به القرضاوي والمهزومون من ضرورة الأدب والأخلاق وما إلى ذلك، وانظر إلى أدب الأئمة الجهابذة أمثال الحافظ ابن كثير رحمه الله الذي قال في أثناء تفسير هذه الآية نفسها: [وهذا ردّ على النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة] (تفسير القرآن العظيم، ج:2 / ص:34)

وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره للآية 116 من سورة البقرة { وقالوا اتخذ الله ولدا، سبحانه } حديثاً قدسياً أخرجه البخاري رحمه الله بسنده قال: عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان. وأما شتمه إياي فقوله إن لي ولدا فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا]

أرأيت ياشيخ يوسف أدب العلماء مع من يسبون الله تعالى؟ وفي المقابل، أرأيت كيف تتأدب أنت مع من يشتم ربك ورب الناس أجمعين؟ والآن ما حكم من يشتم الله عز وجل؟ هل هو مؤمن بالله أم كافر به؟ أترك الجواب للمفتي الكبير القرضاوي.

2) وقال الله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ } [المائدة:73] قال ابن جرير الطبري رحمه الله: [قالوا كفراً بربهم وشركاً: "الله ثالث ثلاثة" وهذا قول كان عليه جمهور النصارى...] (جامع البيان للطبري) أرأيت مرة أخرى ياشيخ.. [قالوا كفراً بربهم وشركاً] فالكفر بالرب تعالى والشرك بالرب تعالى، ومعنى "ثالث ثلاثة: [الله سبحانه، وعيسى، ومريم] (فتح القدير للشوكاني) فهل الإيمان بالتثليث والقول بأن الله متعدد إيمان بالله تعالى؟

قلت: وهذه الآية ذكرها القرضاوي في معرض جوابه عن السؤال: هل النصارى كفار؟ لكن ذكرها مع تأكيده أنهم ليسوا كفاراً بالله في حين هي نص في كونهم كفاراً به جل وعلا. ثم جاء بالقول ونقيضه حيث اعترف أنهم كفار بديننا، وأننا كفار بدينهم. وفاته أنه ذكر بالحرف: [إن النصارى لهم عقائد معينة، القرآن اعتبرها كفراً بالتوحيد] (نفس الحلقة) فهل الكفر بالتوحيد إيمان بالله؟

3) يقول القرضاوي بالحرف: [وهم (أي النصارى) كفار بديننا لا يؤمنون برسالة محمد وأن القرآن كلام الله.]

فالنصارى إذن لا يؤمنون برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ويسمون النبي الكريم: الكذاب، وفي هذا لا يغضب القرضاوي وأتباعه لوجه الله، وغيرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى القرآن الكريم، بل يقولون عن هؤلاء الملاعين (إخواننا) وأنصح مقدم البرنامج "أحمد منصور" أن يتقي الله في هذا، وقد ذكرهم بهذه الأخوة غير مرة.

قلت: وإنكار ما أنزل الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إنكار لكل الرسالات، وطعن في ذات الله جل جلاله، وهم بهذا ما قدروا الله حق قدره: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِن شَيْءٍ } [الأنعام:91] قال ابن أبي العز في كتابه "شرح العقيدة الطحاوية" : [بل إنكار رسالته صلى الله عليه وآله وسلم طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.] (ص:153)، ثم بين ذلك بالأدلة والبراهين، رحمه الله.

ومن المعلوم أن القرضاوي لبّس على المسلمين في كون النصارى أهل كتاب، وقال [وننـاديهم بأهـل الكتـاب] كـأنه يستثقل نعتهم بالكفر. وبأن الإسلام [يدعو إلى التسامح مع هؤلاء الناس، وأباح مؤاكلتهم ومصاهرتهم والتزوج منهـم..] على حد قوله.

ومـن المعلـوم لـدى صـغار طلبـة العلـم أن كـون اليهـود والنصارى أهل كتاب، لا يعني بحال مـن الأحـوال الشـرعية أنهم مؤمنون بالله، بل قد صرح القرآن بأن من أهل الكتاب مـن لا يـؤمن بـالله ولا بـاليوم الآخـر مـع كـونهم مـن أهـل الكتاب؛ وذلك في قوله سبحانه: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّـهُ وَرَسُـولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِيـنَ الْحَـقِّ مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ حَتَّـى يُعْطُـوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُـمْ صَـاغِرُونَ } [التوبـة:29] وهـذا صـريح جداً، خاصة إذا علمنا أن الآية نزلت في محاربة الروم. فغزا رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم بعـد نزولهـا غـزوة تبوك. (تفسير الطبري للآية)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: [فهم فـي نفـس الأمر لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لـم يبـق لهـم إيمان صحيح بأحد الرسـل ولا بمـا جـاءوا بـه وإنمـا يتبعـون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيـه، لا لأنـه شـرع اللـه ودينه، لأنهم لـو كـانوا مـؤمنين بمـا بأيـديهم إيمانـا صـحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسـلم، لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه. فلما جـاء كفـروا بـه وهـو أشـرف الرسـل عُلـم أنهـم ليسـوا متمسـكين بشـرع الأنبياء الأقـدمين لأنـه مـن اللـه. بـل لحظـوظهم وأهـوائهم فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبيـاء وقـد كفـروا بسـيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم. ولهذا قال : { قَـاتِلُوا الَّـذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِـاللَّهِ وَلا بِـالْيَوْمِ الآخِـرِ وَلا يُحَرِّمُـونَ مَا حَـرَّمَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ }.

قلتُ: ولئن ادعى أهل الكتاب أنهـم يؤمنـون بـالله واليـوم الآخـر، فليـس هـو الإيمـان المعتـبر شـرعاً. هـم مؤمنـون بزعمهم، لكنهم كافرون في شـرعنا. والعـبرة بمـا عنـدنا لا بما يأفكون.

وطبعاً القرضاوي لا يحب الكلام في الجزيـة وأحكامهـا ولا فـي مشـروعيتها إبقـاءً علـى مـودته للنصـارى، وخصوصـاً أقباط مصـر الـذين تربطـه بهـم مـودة المواطنـة، وعذوبـة النيل.. وقد يقول المفتونون به:ليس القوت وقته. ونقـول:

بل وقته. والإسلام كله صالح للزمان كله والمكان كله إلى قيام الساعة. وإلا، هل الوقت وقت المرأة القاضية في الإسلام؟ فأين الإسلام؟ ولماذا الدندنة حول الملكة بلقيس يوم أن كانت كافرة، وقبل أن تسلم وجهها لله مع سليمان عليه السلام؟ بل لماذا ولاية المرأة بما كان في شريعة من قبلنا المنسوخة بشريعتنا؟

وفي كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، جاء في الصفحة 215 منه قوله: [وإذا كانت المشابهة في القليل ذريعة ووسيلة إلى بعض هذه القبائح كانت محرمة. فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله؟ من التبرك بالصليب، (قلت: فالتبرك بالصليب إيمان بهذا الصليب، وهو تكذيب مباشر لرب العالمين،فهل هو إلا الكفر بالله كما قال شيخ الإسلام؟) ... والتعميد في المعمودية، أو قول القائل "المعبود واحد، وإن كانت الطرق مختلفة" ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدّلتين المنسوختين موصلة إلى الله. وإما إستحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله، والتدين بذلك أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالقرآن وبالإسلام بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك؟.]

أجل، بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك. فما هي تلك الوسطية وذاك الاعتدال الذي يرفع القرضاوي رايته،وقد خالف الأمة الوسط بلا خلاف؟

وبخصوص المناكحة والمصاهرة والمؤاكلة، فهذه من الأمور التي ينبغي إمعان النظر فيها اليوم، ذلك لأن النصارى واليهود في هذا الزمان حربيون وليس منهم ذمي واحد، وأن أغلبيتهم اليوم لا علاقة لهم لا بالتوراة ولا بالإنجيل، على ما فيهما من تحريف. وكل ما لدى النصارى اليوم مثلاً هو إنجيل متّى وإنجيل ماركوس وإنجيل يوحنى وإنجيل لوقا. وليس عندهم إنجيل عيسى عليه السلام، ولو كان عندهم إنجيل عيسى عليه السلام وهم مؤمنون به لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. ونستحضر هنا أن من الصحابة رضي الله عنهم من كان لا يرى الزواج والمصاهرة.. إلا من حرائر وعفائف الذميين، وليس من الحربيين. هذه واحدة. ومنهم من كان يرى أن امرأة تقول "عيسى ابن الله" هي مشركة لا تحل. قال ابن كثير في التفسير: [وقيل المراد بذلك الذميات دون الحربيات لقوله { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر }.. الآية وقد

كان عبد الله بن عمر لا يـرى التزويـج بالنصـرانية ويقـول لا أعلم شركا أعظم من أن تقـول إن ربهـا عيسـى وقـد قـال الله تعالى " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " الآية]

صحيح خالفه الصحابة رضي الله عنهـم، للاعتبـارات الـتي ذكرها ابن كثير رحمه الله. وهو مـا نعيبـه علـى القرضـاوي الذي يفتي في أمور كثيرة وخطيـرة دون أن يشـير إلـى مـا هنالك من أقوال للسلف، ودون ما وضعه أولئك السلف من قيود وشروط.. لذا جاءت فتاوى القرضـاوي فـي كـثير مـن القضايا متسيبة سقيمة.

أما أهل الكتاب الحقيقيون، فهـم أهـل الكتـاب الحقيقـي، الكتـاب الـذي أنزلـه اللـه تعـالى مـن تـوراة وإنجيـل، قبـل التحريف. أما بعد التحريف، فلم يعد أحـدهما الكتـاب الـذي أنزلـه اللـه، ولا أتبـاع المحـرف منهمـا أهـل الكتـاب الـذين يؤمنـون بـالله. إلا وفـق مـا تعـارف عليـه الكفـار وزعمـوه لأنفسهم من أنهم أهل دين وإيمان، والعبرة بما في ديننـا لا بما في أفواههم، كما علمت.

ومما ينبغي أن يعلمه المسلمون، أن التسـامح المطلـوب شـرعاً مـع غيرهـم، مقيـد وليـس مطلقـاً، كمـا قلـت آنفـاً. والقرضاوي ذكر قول الله تعالى: { وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [العنكبوت:46] وعامة المسلمين لا يفهمون ما هي هذه التي هي أحسن، ولا ما هي طبيعة تلـك المجادلـة، وعلـى أي أسـاس وبأيـة شـروط، إلا مـن كـان دارساً. واستغلال جهل المسلمين من طرف أصـحاب رايـة الاعتـدال المزيفـة، اسـتغلال خـبيث خـال مـن تقـوى اللـه تعالى. فهل ذكر القرضاوي للناس بأن ما استشـهد بـه هنـا منسوخ على حد قول التابعي الجليـل قتـادة وغيـره، رضـي الله عنهم؟ أو أنها محكمة لكـن فـي حـق طلاب الحـق مـن أهل الكتاب؟ وهذا كما قال المفسر الكبير ابن كـثير رحمـه الله في تفسيره للآية: [قال قتـادة وغيـر واحـد: هـذه الآيـة منسوخة بآية السيف. ولـم يبـق معهـم مجادلـة. وإنمـا هـو الإسلام أو الجزية أو السيف. وقال آخـرون: بـل هـي باقيـة محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادَل بـالتي هي أحسن ليكـون أنجـع فيـه. كمـا قـال تعـالى { ادع إلـى سبيل ربـك بالحكمـة والموعظـة الحسـنة } الآيـة ... (إلـى قوله) قال مجاهد: { إلا الذين ظلمـوا منهـم } يعنـي أهـل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية.]اهـ. وهذا هو القيد في التسامح الإسلامي. فهل نتبع سلفنا الصالح، أهل العلـم والعمل، أم نتبع الدكتور وصاحبه أحمد منصور.؟

ولا شك أن الفهم الصحيح للقرآن الكريم هو فهم السلف لا فهم الخلف المخالف. والذين يتجاوزون أقوال الأئمة وحفاظ الأمة ويذهبون إلى مزبلة الأفكار البشرية قوم لا يعقلون. ثم إن القرضاوي كتم على المسلمين الاستثناء القرآني في الآية، فأوردها ناقصة في المبنى والمعنى، وهو عبث بعقيدة المسلمين لا يخدم إلا مراد الكافرين والمنافقين. والمستثنى من الجدال بالتي هي أحسن، وفق ما تم بيانه، هو قوله تعالى: { إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } ولئن كان إسقاطها عن سهو، كما رجحنا، فإسقاط معناها كان عن عمد. وهذا هو الخطر على الشيخ، ونقول عن عمد، لأن كل ما بنى عليه من اجتهادات كان على هذا الخرم الفاضح للقرآن الكريم. أم نقول جاهل؟

وهؤلاء الذين ظلموا منهم، هم أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية؛ كما قال مجاهد رضي الله عنه. وهم اليوم الذين يصولون ويجولون ويسرحون ويمرحون في بلاد المسلمين، بل يقتلون ويغتصبون ويرهبون وينهبون ويحاصرون.. كما فعل الأمريكان ولا يزالون. ويعصرني الألم وأنا أسمع إدانة القرضاوي لليهود باعتبارهم يفعلون في فلسطين المسلمة ما يفعلون، ويبرئ ساحة النصارى على ما هم عليه من عدوان وإجرام في حق أمتنا. وكأني به يجهل أن النصارى هم وراء زرع الكيان اليهودي في قلب أمتنا، وهم الذين يحمون اليهود وينصرونهم بالرجال والأموال والعتاد والتكنلوجيا والدعاية والإعلام والفيتو... وغير ذلك. ويتجاهل أن النصارى محاربون بكل معاني الكلمة، كما يدل على ذلك الوضع في جنوب السودان وفي احتلال المدينتين المسلمتين سبتة ومليلية، بل واحتلال بلاد الجزيرة العربية الآن احتلالاً مسلحاً، وإن كان مقنّعاً.. بل إن النصارى في مصر والأردن وسوريا ولبنان وغيرها محاربون بكل المعاني الشرعية، وأنهم حقيقة هم وأمثالهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله: { إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } فهؤلاء ليسوا معنيين بالجدال بالتي هي أحسن، ولو على فهم المهزومين.

ونأتي الآن إلى الأمور المشتركة المزعومة بيننا وبين أهل الكتاب. فقد ذكر القرضاوي أن هناك أموراً مشتركة بيننا وبين النصارى، ينبغي أن تشكل قاعدة التسامح والتعايش.. وهي الإيمان بالله واليوم الآخر.. إلخ، وقد سبق أن بينا بالنصوص القاطعة أن النصارى واليهود لا يؤمنون بالله تعالى، وأن كل من لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله

وسلم، أو بالإسلام، أو بشيء منه فهو لا يؤمن بالله تعالى. والقول بأنهم مؤمنون بالله ولكنهم كفار بديننا، كما قال القرضاوي، قول سقيم لا يمت إلى العلم بأدنى صلة. ذلك لأن الله الذي يؤمن به اليهود له ابن اسمه عزير، والله الذي يؤمن به النصارى له ابن اسمه المسيح، والله الذي نؤمن به - نحن المسلمين - لم يلد ولم يولد، فهل الله هو هو في عقيدة هؤلاء وهؤلاء؟ اللهم ألف لا. فإن قالوا: إنهم يؤمنون بالله، فليس الله الذي يؤمنون به هو الله الذي نعلم نحن أسماءه وصفاته وأفعاله التي هي في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وإن إبراهيم عليه السلام الذي نجتمع فيه – نحن الثلاثة – مسلمين ويهوداً ونصارى، والذي هو أيضاً من القواسم المشتركة بيننا وبينهم كما يقول الجاهلون، كان مسلماً ولم يكن مشركاً: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران:67] وفي قوله تعالى: { وما كان من المشركين } إشارة إلى أن اليهود والنصارى مشركون. كيف لا وهم الذين { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [التوبة:31] أجل: { سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }، وكذلك الأمر في قوله تعالى: { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [البقرة:135].

وأختم بما بدأ القرضاوي به، قال: [كلمة كفار، يعني إيه؟ ملحدون؟ ليسوا ملحدين.] قالها بنبرة غاضبة.. وأقول: بل هم ملحدون بلغة الشرع، وأعلم أنه يقصد ما تعارف الناس عليه اليوم من أن الملحدين هم الدهريون والشيوعيون وأمثالهم الذين ينكرون اليوم الآخر. إلا أن تغليب لغة الشرع في فتاوانا ينبغي أن يكون سائداً، لأنه هو الصواب. ونفي الإلحاد عن أهل الكتاب بهذا الإطلاق لا ينم إلا عن الهشاشة العلمية، أو الكتمان لشهادة الحق عياذاً بالله. فما هو الإلحاد؟

[الإلحاد: الميل وترك القصد; يقال: ألحد الرجل في الدين. وألحد إذا مال. ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته.] (تفسير القرطبي).

[وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب. وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ...] (تفسير القرآن العظيم).

قلتُ: واليهود والنصارى مالوا ميلاً عظيماً، وتركوا القصد المطلوب، وكذبوا بدين الله تعالى جملةً وتفصيلاً، وطعنوا في أسماء الله جلَّ وعلا طعناً بليغاً، وجاروا وانحرفوا وانجرفوا. { فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة:89]

فيا شيخ يوسف القرضاوي، اتق الله تعالى. فقد بلغت من الكبر عتياً، ولم يعد أمامك عمر مديد. وانظر كيف تلقى ربك. وعد إلى ذلك الماضي المشرق في حياتك يوم كنت طليقاً في سجن أعدائك، وقبل أن تصبح أسيراً في عالم ساداتك وكبرائك اليوم، حيث كنت يومها تنشدنا من وراء القضبان:
النور في قلبي، وقلبي بين يدي ربي، وربي ناصري ومعيني.
سأظل معتصماً بحبل عقيدتي، وأموت مبتسماً ليحيى ديني.

فلا تمت عبوساً ليحيى دين شنودة. وإياك أن تأخذك العزة بالإثم.

اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

وكتبه محمد بن محمد الفزازي
طنجة: 24 جمادى الأولى 1419هـ

تم تنـزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info